المفردة القرآنية
بين الجذر اللغوي والمعنى القرآني

الأستاذ المساعد الدكتور حسين محيسن ختلان البكري*

المقدمة:

القرآن الكريم كتاب تشريع وهداية،وهو دستور الإسلام والمصدر الأول للشريعة الإسلامية السمحة يليه الحديث الشريف.
إنه كتاب الله المعجز بنظمه تحدى العرب على أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، وهو أعلى نص في الفصاحة لا يدانيه أي نص آخر، وعليه اعتمده النحويون في وضع قواعد اللغة فعدوه الشاهد الأول لهم. إنه الكتاب المعجز لغوياً، وبلاغياً، وأسلوبياً، وعلميا، فالإعجاز اللغوي يتجلى في تراكيبه ومفرداته، واختيار الاصوات في بناء المفردة، وترتيبها ترتيباً مدهشاً معبراً عن المعنى المراد... كما في المفردة (اثاقلتم) فأصلها (تثاقلتم) فالفرق في المعنى بيّن بينهما إذ أدغمت التاء في الثاء وشددت الثاء، وزيدت الهمزة، وهي تدل على التباطؤ والتحامل، والثقل، وهو أشبه ما يكون بذلك الجسم المتثاقل يرفعه الرافعون في جهد فيسقط في أيديهم في ثقل، فأنت تحس بالحركة البطيئة... بينما لا نجد مثل هذا مع (تثاقلتم).
كما إننا نلمس معاني جديدة جاء بها القرآن الكريم وهي في حقيقتها معانٍ لمفردات جاهلية متطورة دلالياً. وعلى هذا جاء بحثنا الموسوم بـ(المفردة القرآنية بين الجذر اللغوي والمعنى القرآني) وتضمن مبحثين، الأول: جرس المفردة وظلها وتناولنا فيه أمثلة لسبع مفردات هي: اثّاقلتم، وادّارأتم، ويُدَعُّونَ، ويَصْطَرِخون، والصَّاخّة، والحاقّة، والقارعة. والمبحث الثاني: درسنا فيه التطور الدلالي للمفردة، وفيه أمثلة من الكلمات الإسلامية كالصَّلاة، والزَّكاة، والصَّوم، والحَج، والفُسق ومشتقاته، والكُفْر ومشتقاته، والتَّيمُّم. ثم ختم البحث بالنتائج التي توصلنا إليها ومن ثم مصادر البحث ومراجعه.
أرجو الله تعالى أن يتقبل مني هذا العمل ويجعله في ميزان حسناتي إنّه سميع مجيب.

---

* كلية التربية للبنات - جامعة بغداد.

المبحث الأول

جرس المفردة وظلها

الجَـرْسُ ـ بفـتح الجـيم وكسـرها الصـوت، يقـال: سَـمِعتُ جَـرْسَ الطيـرِ،إذا سـمعت صـوت مناقيرها(١)، ومنه ما جاء في الحديث الشريف (فَيَسمعونَ جَرْسَ طيرِ الجنّةِ)(٢).

وجرس المفردة صوت حروفها من حيث الشدّة والرّخاوة، والجهر والهمس، وما إلى ذلك وعليه فإنَّ هذا المبحث يتنـاول أصوات المفردة القرآنيـة ومـا تـدل عليـه مـن معان، أي يتنـاول ترتيب اصـوات المفـردة، فهـي بهـذا الترتيـب الخـاص تـوحي بمعناهـا قبـل أن يـوحي مـدلولها اللغـوي عليها(٣).

وقد امتازت المفردة القرآنية بثلاث ميزات رئيسة هي(٤):

١. جمال وقعها في السمع.
٢. اتساقها الشامل في المعنى.
٣. اتساع دلالاتها لما لا يتسع له عادةً دلالات الكلمات الأخرى.

وهذه الميزات لا نجدها مجتمعة في كلام البشر، بل نجد بعضـها فـي كـلام البلغـاء، والفصـحاء: الإمام علي (عليه السلام)، والجاحظ، والمتنبي (أمّا تجتمـع معـاً وبصـورة مطّـردة لا تتخلـف ولا تشذ فذلك ما لم يتوافر إلا في القرآن)(٥).

__ومن الأمثلة على ذلك المفردة (اثَّاقلتُم)__ في قوله تعـالى: (يـا أيُّهـا الـذين آمنـوا مـالَكُم إذا قيلَ لكُم انفروا في سبيلِ الله اثاقلتم إلى الأرض) (سورة التوبة: ٣٨)

أصل (اثاقلتم) تَثاقلتم من الجذر الثلاثي (ثَقُلَ) بمعنـى (تَباطـأتم) فأدغمـت التـاء فـي الثـاء لتـداني مخرجيهمـا، وجـيء بـالهمزة للتوصـل إلـى النطـق بالسـاكن. والتـاء صـوت شـديد، والثـاء صـوت مهموس وهي من أصوات النفث(٦).

وتـدل المفـردة بمقاطعهـا الأربعـة علـى التثاقل،والتبـاطؤ، والتحامـل، قـال الخليـل:(والتثاقـل مـن التباطؤ والتحامل في الوطء، يقال: لأطأنّه وطء المتثاقل)(٧).

والمقاطع هي:

س ع س+ س ع ع+ س ع س+س ع س
طويل طويل طويل طويل
مغلق مفتوح مغلق مغلق
ء ـِ ث ث ـً ق ـَ ل ت ـُ م

إنَّ المفردة (اثّاقلتم) وصورة أدائها توحي بالمعنى قبل أن يرد من المعجمـات. جـاء فـي التعبيـر الفنـي في القرآن: (فنظام الأصوات للفظـة (اثّـاقلتم) وصـورة أدائهـا أوحـت إليـك بـالمعنى قبـل أن يرد عليك المعنى من جهة المعاجم، ألا تلاحظ في خيالك ذلك الجسم المتثاقل يرفعه الرافعون في جهد فيسقط في أيديهم في ثقل؟ ألا تحس أن البطء في تلفظ الكلمة ذاتهـا يـوحي بـالحركة البطيئـة التي تكون في المتثاقل)(٨).

إنَّ هذا المعنى لا يحصل مع (تثاقلتم) لأننا عندما ننطق هذه المفردة نشعر بـالخفة والسرعة فـي النطـق مـن دون جهد ومشقة، وعليه فـإنَّ مجـيء المفـردة (اثـاقلتم) بهـذه الصـورة مـن الإدغـام، ومجـيء الهمـزة فـي أولهـا مقصـود استدعاه السياق القرآنـي مـع أن كلتـا الصـيغتين مـن الجـذر

---

(١) ينظر: مختار الصحاح (جرس) ٩٩.

(٢) المصدر نفسه:٩٩. وينظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٧٣١/١

(٣) ينظر: التعبير الفني في القرآن:١٨٠.

(٤) ينظر: المرجع نفسه ١٧٩.

(٥) ينظر: المرجع نفسه ١٧٩.

(٦) النفث: هو إخراج الهواء من بين الثنايا وأسلة اللسان (ينظر: سر صناعة الإعراب ١٨٩/١).

(٧) العين (ثقل) ١٣٧/٥.

(٨) التعبير الفني في القرآن ١٧٩.

الثلاثي (ثقل)، وكذلك كلتاهما تتألف من أربعة مقاطع صوتية، ولكن المقطع الأول من (تثاقلتم) قصير، وهو في (اثاقلتم) طويل مغلق بسبب تشديد الثاء وهو مركز الثقل.

إنَّ الذي جعل لـ(اثاقلتم) ثقلا وجهدا في الحركة وتباطؤاً هو ترتيب اصواتها ترتيباً خاصاً، فإدغام التاء في الثاء، ثم الألف المدية، ثم القاف التي هي صوت شديد، ومجهور، ومستعل عند القدماء[1] وهو ذاته عند المحدثين إذ ينطبق انطباقاً قليلا ثم ينفجر[2]، ثم التاء و الميم في الآخر التي تنطبق بها الشفتان ويخرج الهواء من الأنف[3]. في هذا الترتيب العجيب نجد المفردة تؤدي تؤدي معنى خاصاً، لا تؤديها الأخرى لو رتبت أصواتها المؤثرة بشكل آخر، ورفع تشديد الثاء الناتج عن الإدغام.

ومن المفردات الأخرى (ادّارأتُم) في قوله تعالى: (وإذ قَتَلتُم نَفْساً فادّارأتُم فيها) (سورة البقرة: ٧٢).

أصل المفردة (تَدارأتم) بمعنى: تدافعتم، وتخاصمتم[4] من الجذر الثلاثي (دَرَأ) بمعنى (دَفَع)[5]. (دَفَع)[5]. وقرأ عبد الله بن مسعود(رضي الله عنه) (فتدارأتم)[6] على الاصل فأدغمت التاء في في الدال ، وهما مشتركتان في الجهر، وزيدت همزة الوصل في أولها للتوصل إلى النطق بالساكن. إنَّ هذه المفردة أقوى جَرْساً من المفردة (تدارأتم) وهي الأصل، لما في التشديد من قوة ثم الألف المدية فالراء التي تفيد التكرار، ثم الهمزة الشديدة، المجهورة، ثم التاء فالميم التي تنطبق بها الشفتان عند النطق وخروج الهواء من الأنف.

كل ذلك جعل المفردة أقوى جرْساً وأشد في النطق من (تدارأتم)، وجاء النطق بهذا البناء للانسجام مع السياق القرآني، فلو نطقنا بـ(تدارأتم) لما حصل المعنى المقصود. ونجد أنَّ كلتا المفردتين تتألف من أربعة مقاطع صوتية، فـ (ادّارأتم) تتكون من مقطع طويل مغلق، فطويل مفتوح، فطويل مغلق، فطويل مغلق ورموزها هي:

س ع س + س عِ ع + س عِ س + س ع س
ءِـ د +دـً + ر ـَ ء + ت ـُ م

أما (تدارأتم) فتتكون من مقطع قصير، فطويل مفتوح، فطويل مغلق، فطويل مغلق ورموزها هي:

س ع + س عِ ع + س عِ س + س ع س
ت ـَ + د ـً + ر ـَ ء + ت ـُ م

وهذا يعني أنَّ المقطع القصير من (تدارأتم) صار مقطعاً طويلاً مغلقاً مع(ادّارأتم) بسبب الإدغام والهمزة في أولها، وبقيت المقاطع الثلاثة كما هي.

ومن المفردات القرآنية الأخرى (يُدَعّون) في قوله تعالى: (يومَ يُدعّون إلى نار جَهنمَ دَعّا) (سورة الطور: ١٣). معنى (يُدَعّون): يدفعون، من الجذر الثلاثي (د ع ع) بمعنى: دفع[7]، أو من الجذر (د ع و)، قال ابن فارس: (فالدال، والعين، والواو أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام ليكون منك)[8]. وهذا يعني أن الجذر (د ع ع) أو (د ع و) هو الدفع الشديد، العنيف المصحوب بصوت وكلام، وهو المعنى الأصلي للمفردة.

---

[1] ينظر: التحديد ١٣٠، والأصوات اللغوية ١٢٩.

[2] من محاضرات الدكتور حسام النعيمي على قناة الشارقة (لمسات بيانية).

[3] التعبير الفني في القرآن ١٧٩ـ١٨٠.

[4] مختار الصحاح (درأ) ٢١٠.

[5] المصدر نفسه ٢١٠.

[6] مختصر في شواذ القراءات ٨.

[7] مختار الصحاح (د ع ع) ٢٠٥.

[8] مقاييس اللغة (د ع و) ٢٧٩/٢.

وقرأ علي بن أبي طالب (عليه السلام) (تُدَعّون) بصيغة الخطاب[١]. وقد استعمل القرآن الكريم هذه المفردة استعمالاً خاصاً، فالدعُّ هو الدفع في الظهور بشدة وعنف، قال سيد قطب: (فالدع: الدفع في الظهور، وهي حركة غليظة، تليق بالخائضين اللاعبين الذين لا يجدّون، ولا ينتبهون إلى ما يجري حولهم من الأمور فيُساقون سوقاً، ويُدفعون في ظهورهم دفعاً حتى إذا وصل بهم الدفع

والدع إلى حافة النار، قيل لهم: (هذه النّار التي كنتم تُكذّبون)، وبينما هم في هذا الكرب بين الدع والنار التي تواجههم على غير إرادة يجيئهم الترذل والتأنيب والتلميح إلى ما سبق منهم من التكذيب، أَفَسِحْرٌ هذا؟ أم أنتم لا تُبصرون)[٢].

هذا مشهد مريب من مشاهد القيامة في دفع المكذبين في النار نعوذ بالله منها. لقد جاء المعنى السياقي ـ لهذه المفردة ـ في القرآن الكريم بدلالات خاصة، ففيها مباحث لفظية، ومعنوية كما ذكر الرازي في تفسيره[٣]، فالمفردة بترتيب أصواتها، وصفاتها، وقوة جَرْسها (تدل على هول نار جهنم، فخزنتها لا يقربونها، فهم يقذفون المكذبين، والكافرين فيها وهم بعداء عنها، إي إنَّ الملائكة يدفعون أهل النار إلى النار إهانة واستخفافاً بهم)[٤].

وقد صور المتصوفة هذا المشهد أحسن تصوير، قال ابن عربي في تفسيره: (...يُجرّون ويُسحبون بالعنف إلى نار الحرمان، والآلام في قعر بئر الطبيعة الفاسقة في سلاسل التعلقات، وانحلال الهيئات الجرمائية...)[٥].

وأصل ذلك (أن يقال للعاثر (دَعْ دَعْ) أي يدفعون إليها دفعاً عنيفاً شديداً)[٦].

إنَّ صيغة (يُدَعّون) أبلغ من صيغة (يدفعون)، وأقوى جَرْساً منها لما فيها من مبالغة في الدفع وتصوير أهل النار، أمّا الصيغة الثانية (يُدفعون) فلا مبالغة فيها، ولا قوة في الجرس، فهي تدل على مطلق الدفع في النار، فهو ليس شديداً، ولا عنيفاً. وعليه فاستعمال (يُدعّون) استعمال مقصود، وليس اعتباطاً أو عفوياً اقتضاه السياق القرآني.

والمفردة (يُدعّون) تتألف من ثلاثة مقاطع صوتية هي:

س ع س ع س س ع ع س
قصير طويل مغلق مديد
ي ـُ د ـَ ع ع ـّ ن ، في الوقف

أما المفردة الأخرى (يدفعون) فتتألف من ثلاثة مقاطع أيضاً هي:

س ع س س ع س ع ع س
طويل مغلق قصير مديد
ي ـُ د ف ـَ ع ـّ ن في الوقف

ومن المفردات القرآنية الأخرى (يَـ ْطَرِخُون) في قوله تعالى: (وهم يَصْطَرِخون ، ربَّنا أخرجنا نَعملُ صالحاً غيرَ الذي كُنا نعملُ) (سورة فاطر:٣٧)

المفردة مشتقة من الجذر الثلاثي (ص ر خ)، والأصل (يَصترخون) فأبدلت الطاء من التاء، والمسوغ لهذا الإبدال أنهما متفقان في الصفة، فهما صوتان شديدان مطبقان مستعليان[٧]. وقد أثبتت التجارب الحديثة أنهما شديدان[٨]، وهما متقاربان في المخرج. وتدل المفردة باصواتها الأصلية على الصوت الرفيع، قال ابن فارس: (الصاد والراء والخاء أصل يدل على صوت

---

[١] مختصر في شواذ القراءات ١٤٥

[٢] في ظلال القرآن ٣٣٩٦/٦.

[٣] ينظر: جامع البيان ٢١١/٢٨.

[٤] ينظر المصدر نفسه ٢١١/٢٨.

[٥] تفسير ابن عربي ٢٥٢/٢٢.

[٦] تفسير التحرير والتنوير ٤٣/٢٧.

[٧] ينظر: تفسير روح المعاني ٢٣٠/٢٢.

[٨] ينظر: الأصوات اللغوية (أنيس) ٢٤.

رفيع ومن ذلك: الصراخ، يقال للصارخ: المستغيث)[١]. و (يَصْطَرِخُون) - بإبدال الطاء من التاء للمبالغة تدل على الشدّة في الصراخ بسبب الخوف والفزع الذي أصاب الكفار، جاء في تفسير روح البيان: (إنَّ الصراخ افتعال وهو الصياح بجهد وشدة، ودخلت الطاء فيه للمبالغة كدخولها في الاصطبار، والاصطفاء، والاصطناع)[٢]، ومثل هذا ما ذكره ابن عاشور في تفسيره[٣]. فالسياق القرآني اقتضى التعبير عن شدة الخوف، والفزع، والهلع بصيغة المبالغة (يصطرِخون)، وهذا المعنى لا يتحقق مع صيغة (يصرَخون) لأنها لا مبالغة فيها، فهو مطلق الصراخ والاستغاثة، لا تكلف فيه.

والذي أدل إلى هذا المعنى، وهو الصراخ بشدة وبجهد هو ترتيب هذه الأصوات وما تدل عليه من صفات، فالصاد صوت صفير رخو مطبق مستعل، والطاء صوت شديد مجهور مطبق مستعل، وعندما التقى الصاد بالطاء أنعم بيانه، وأعطى حقه من الإطباق والاستعلاء[٤] ، فخرج من رخو إلى شديد، وهذا ينسجم مع طبيعة البشر، كما ينسجم مع سياق الآية القرآنية، وهو الصياح بجهد وشدة، وآلام لأهل النار، وكما قلنا لو أبدلنا (يصطرِخون) بـ(يصرخون) لما تحقق هذا المعنى، لأن الصاد والخاء صوتان رخوان[٥]، فالتعبير عن هذا المعنى جاء مقصوداً في الآية القرآنية الكريمة. إنَّ هذه المفردة تتألف من أربعة مقاطع صوتية هي:

س ع س	س ع	س ع	س ع ع س
طويل مغلق	قصير	قصير	مديد في الوقف
يـَـص	طـَ	رِ	خـُـُن

أما (يصرخون) فتتألف من ثلاثة مقاطع صوتية هي:

س ع س	س ع	س ع ع س
طويل مغلق	قصير	مديد
يـَـص	رُ	خـُـُن

بإسقاط المقطع القصير الثاني من (يصطرخون) لأن الطاء المبدلة من التاء زائدة جيء بها للمبالغة.

ومنها المفردة (الصَّاخَّة) في قوله تعالى: (فإذا جاءتِ الصّاخَّةُ) (سورة عبس:٣٣).

الصَّاخة مشتقة من الجذر الثلاثي (ص خ خ)، وهي الصيحة الشديدة التي تصخ الأسماع أي تصمها فلا تسمع الا ما تدعي به الأحياء[٦]، فهي ذات جَرْسٍ عنيف وشديد يخرق صماخ الأذن، الأذن، قال سيد قطب: (والصّاخَّة لفظ ذات جَرْسٍ عنيف نافذ يكاد يخرق صماخ الأذن، وهو يشق الهواء شقاً حتى يصل إلى الأذن صاخّاً ملحّاً)[٧]. وقد اختلف المفسرون في دلالة هذه المفردة، قال ابن كثير: (قال ابن عباس: الصاخّة اسم من أسماء القيامة، عظّمه الله، وحذر عباده، وقال ابن جرير: لعله اسم للنفخة في الصور.وقال البغوي: الصاخّة يعني صيحة القيامة، سميت بذلك لأنها تصخُّ الأسماع، أي تبالغ في أسماعها حتى تكاد تصمُّها)[٨].

واني أرجح من هذه الأقوال أنها الصيحة الثانية للبعث. وتكمن قوة جرس المفردة في ترتيب أصواتها ، فالصاد صوت صفيري مهموس رخو، مطبق مستعل، ثم الألف المديّة بعدها الخاء المشددة، وهي حرف مهموس رخو حلقي. وقد مدت الألف مدّاً مفرطاً وهو ما يسمى بـ(المد

---

[١] مقاييس اللغة (صرخ) ٣٤٨/٣.

[٢] تفسير روح البيان ٣٥٤/٧.

[٣] تفسير التحرير والتنوير ٣١٨/٢.

[٤] ينظر: سر صناعة الإعراب ٢٢٣/١، والأصوات اللغوية ٩٠، ١٢٩.

[٥] ينظر: الأصوات اللغوية ٢٥.

[٦] ينظر اللسان (ص خ خ) ٢٠٦/٨

[٧] في ظلال القرآن ٣٨٣٤/٦.

[٨] تفسير القرآن العظيم ٦١٩/٤.

الغالي)(١)، وهو أطول مد في القرآن الكريم، ، وهذا المد بمقدار ست حركات(٢) كل هذا جعل للمفردة جرساً قوياً شديداً مؤثراً.وقد وصف سيد قطب قوة جَرْس المفردة بقوله: (وإيقاع اللفظ بذاته أشبه شيء برفع الثقل طويلاً ثم استقراره استقرارا مكيناً رفعه في مدّة الصاد بالألف، واستقراره في تشديد الخاء بعدها والانتهاء بالتاء المربوطة التي يوقف عليها بالهاء الساكنة)(٣).

ونجد المفردة تتألف من ثلاثة مقاطع صوتية هي:

س ع س   س ع ع س   س ع س
طويل مغلق   مديد   طويل مغلق
ء ـَ ص   ص ـً خ   خ ـً ه

المقطع الثاني مركز الثقل وقد اخترق النظرية الصوتية.

ومنها المفردة (الحاقَّة) في قوله تعالى: (الحاقَّةُ ما الحاقَّةُ) (سورة الحاقة:١-٢).

الحاقة مشتقة من الجذر الثلاثي (ح ق ق) على وزن فاعِلة، وهي الساعة أو يوم القيامة(٤).

اختلف العلماء لِمَ سميت الحاقة؟ على ثلاثة أقول(٥):

الأول: أنها سميت حاقة لأنها تحق كل إنسان من خير أو شر.

الثاني: أنها سميت حاقة لأن فيها حواق الأمور والثواب، وهذا قول الفرّاء.

الثالث: أنها سميت حاقة لأنها تحق كل محاق في دين الله بالباطل، أي كل مجادل، ومخاصم فتحرقه، أي تغلبه وتخصمه.

إنَّ هذه المفردات ذات جرس قوي وشديد بسبب بنيتها، وصفات اصواتها، فالحاء صوت رخو أيّدته التجارب الحديثة(٦)، بعده الألف المدية، مدت مداً مفرطاً، ثم القاف وهي صوت شديد مجهور مشدد. قال سيد قطب: (ويبرز هذا المعنى في اسم القيامة المختار في هذه السورة والذي سميت به سورة الحاقة... وهي بلفظها وجرسِها، ومعناها تلقي في الحس معنى الجد، والصرامة، والحق، والاستقرار، وإيقاع اللفظ بذاته أشبه شيء برفع الثقل طويلاً ثم استقراره مكيناً، رفعه في مدّة الحاء بالألف وجده في تشديد القاف بعدها، واستقراره بالانتهاء بالتاء المربوطة التي تنطق هاء ساكنة)(٧).

وبهذا الترتيب والبناء صارت المفردة بجَرسها القوي معبرة عن المعنى من دون الرجوع إلى المعجمات اللغوية، إذ أن المفردة معبرة عن معناها من دون عناء وجهد في الكشف عنه.

والحاقة صيغة (فاعلة) والهاء زيدت للتأنيث والمبالغة، وعليه فهي صفة لموصوف مقدر مؤنث اللفظ، التقدير: الساعة الحاقة(٨)، أو أن تكون الهاء لحقت المصدر على وزن (فاعلة) مثل (الكاذِبة) للكذب(٩)، أو أن يكون المراد لقباً لقيام الساعة أي الواقفة الحاقة(١٠)، ويجوز أن يكون مصدراً بمعنى الحق، فيصح أن يكون وصفاً ليوم القيامة بأنه حق(١١).

والمفردة تتألف من ثلاثة مقاطع صوتية هي:

س ع س   س ع ع س   س ع س
طويل مغلق   مديد   طويل مغلق
ء ـَ ل   ح ـً ق   ق ـَ ه

---

(١) التصوير المجازي ٩٧.
(٢) المصدر نفسه ٩٧.
(٣) مشاهد القيامة في القرآن ١٨٠، وينظر: في ظلال القرآن ٣٦٧٤/٦.
(٤) ينظر: اللسان (ح ق ق) ١٧٨/٤.
(٥) المصدر نفسه (ح ق ق) ١٧٨/٤.
(٦) ينظر الأصوات اللغوية ٢٥.
(٧) في ظلال القرآن ٣٦٧٤/٦.
(٨) ينظر: التحرير والتنوير ١١١/٢٩.
(٩) المصدر نفسه ١١١/٢٩.
(١٠) المصدر نفسه ١١١/٢٩.
(١١) المصدر نفسه ١١١/٢٩.

ومن المفردات الأخرى (القارعة) في قوله تعالى: (القارعَةُ ما لقارعةُ)(سورة القارعة ١-٢). القارعة مشتقة من الجذر الثلاثي (ق ر ع) بمعنى ضرب الشيء، يقال: قرعتُ الشيءَ أقرعُهُ: ضربتُهُ⁽¹⁾، والقارعة الشديدة من شدائد الدهر، وهي الداهية⁽²⁾، هذا الأصل اللغوي للمفردة. والقارعة في الاستعمال القرآني اسم من أسماء القيامة كالحاقَّة، والطامَّة، والصَّاخَّة⁽³⁾. قال تعالى معظّماً أمرها، ومهولاً شأنها: (وما أدراكَ ما القارعة)(سورة القارعة:٣). والمفردة ذات جرس قوي وشديد بسبب ترتيب اصواتها، ، فالقاف صوت شديد، مجهور،مستعل لهوي، تلته الألف المدية ثم الراء التي فيها تكرير ثم العين وهي عند القدماء من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة، مخرجه من وسط الحلق⁽⁴⁾. وقد وصف الخليل القاف، والعين بقوله : (ولكن العين ، والقاف لايدخلان في بناءٍ إلاّ حسّناه ، لأنهما أطلق الاصوات وأضخمها جرساً) ⁽⁵⁾.
وقد أصاب القاف والعين تطور تاريخي فصارا حرفين مهموسين عند المحدثين⁽⁶⁾ وعلى هذا فإن فإن المفردة (القارعة) توحي بالقرع واللطم، فهي تفزع القلوب بهولها، قال سيد قطب: (فمن تناسق التصوير أن تسمى القيامة بالقارعة فيتسق الظل الذي يلقيه اللفظ والجرْس الذي تشترك فيه حروفها كله مع آثار القارعة في الناس والجبال سواء، وتلقي إيحائها للقلب والمشاعر تمهيداً لما ينتهي إليه المشهد من حساب وجزاء)⁽⁷⁾. وقال في قوة جرس المفردة مع ظلها: (لقد ألقيت اللفظة مفردة كأنها قذيفة بلا خبر، ولا صفة، تلقي بظلها وجرسها الإيحائي المدوي المرهوب، ثم أعقبها سؤال التهويل: ما القارعة؟ فهي الأمر المستهول الغامض الذي يثير الدهشة والتساؤل ثم أجاب بسؤال التجهيل (وما أدراك ما القارعة) فهي أكبرمن أن يحيط بها الإدراك، وإن لم يلم بها التصور!)⁽⁸⁾.
والمفردة تتكون من أربعة مقاطع صوتية هي:
س عِ س   س عٍ ع   س ع   س عِ س
ءـَـل   قـً   ر ـِ   ع ـَـه
وختاماً يمكن القول بأن (هذه الكناية تفخم المعنى في نفوس السامعين، مستفيدة من الاستفهام التفخيمي والتهويلي في قوله تعالى: (ما القارعةُ) فضلاً عن التكرار الذي يرسخ الصورة)⁽⁹⁾.
أكتفي بهذا القدر من المفردات القرآنية، وسوف نعرض في المبحث الثاني المفردة اللغوية وتطورها الدلالي إن شاء الله تعالى.

المبحث الثاني

التطور الدلالي للمفردة

المفردة العربية في عصر ما قبل الإسلام كانت تطلق على معنى معين، وهو المعنى المعجمي أو ما يسميه الأصوليون بالمعنى الوضعي. وفي عصر نزول القرآن دلت على معنى إسلامي جديد وهو المعنى الاصطلاحي، أو المعنى الشرعي، وهذا المعنى لم يكن معروفًا قبل ذلك كالصلاة، والزكاة، والصوم، فالصلاة كانت تطلق على الدعاء، والزكاة كانت تطلق على النماء، والصوم كان يطلق على الإمساك. وفي الإسلام أطلقت على الشعائر العبادية.

⁽¹⁾ ينظر: مقاييس اللغة (فزع) ٧٢/٥.

⁽²⁾ ينظر: المصدر نفسه (فزع)٧٢/٥، ومختار الصحاح (قرع) ٥٣١.

⁽³⁾ ينظر: تفسير القرآن العظيم ٧٢٠/٤.

⁽⁴⁾ ينظر: الأصوات اللغوية ٧٧.

⁽⁵⁾ العين (قرع) ٥٣/1.

⁽⁶⁾ ينظر الاصوات اللغوية ٧٥ -٧٧

⁽⁷⁾ في ظلال القران ٦ /٣٩٦٠

⁽⁸⁾ في ظلال القرآن ٣٩٦١/٦.

⁽⁹⁾ التصوير المجازي / ٩٠ وينظر التكرار في تحرير التحبير / ٣٧٥ -٣٧٦

ومعنى هذا أن دلالات هذه المفردات وسواها كانت معممة ثم خُصِّصت، ولكن هذا لا يعني أن هذه المفردات ماتت كما ذهب إلى ذلك عدد من الباحثين وإنما بقي استعمالها في القرآن الكريم بمعناها اللغوي، أو الوضعي كما سنبينه لاحقًا إن شاء الله.

قال ابن فارس: (... نقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخر بزيادات زيدت، وشرائع شرعت)(١).

وجاء في كتاب النص السلطة الحقيقية: (إنَّ النص القرآني أحدث تغييرًا في دلالة بعض الألفاظ فنقلها من دلالتها اللغوية الاصطلاحية في اللسان إلى دلالات أطلق عليها اسم الدلالة الشرعية، وذلك في ألفاظ مثل الصلاة، والزكاة، والصوم التي تجاوز القرآن الكريم دلالاتها اللغوية التي هي:(الدعاء، والنماء والزيادة، والإمساك) إلى أن تدل على الشعائر والفروض العبادية المعروفة)(٢).

إن هذه المفردات وسواها لم تكن عرب الجاهلية تعرفها، وإنما كانوا يعرفون مدلولها اللغوي الذي تعارفوا عليه، فقد سنها النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) بإلهام من الله تعالى، قال الرازي: (الإسلام هو اسم لم يكن قبل مبعث النبي (صلى الله عليه واله وسلم)، وكذلك أسماء كثيرة مثل الأذان، والصلاة، والركوع، والسجود، لم تعرفها العرب إلا على غير هذه الأصول، لأن الأفعال التي كانت هذه الأسماء لها لم تكن فيهم وإنَّما سنَّها النبي صلى الله عليه واله وسلم، علمها الله تعالى إياه فكانوا يعرفون (الصلاة) إنها الدعاء.... وعلى هذا كانت سائر الأسامي)(٣).
الأسامي)(٣).

وقد اختلف العلماء في هذه المفردات هل انقرضت وماتت بعد أن نقلت دلالاتها إلى دلالات إسلامية جديدة أو بقيت مستعملة في القرآن الكريم؟

فقد ذهب الشريف المرتضى وهو من الأصوليين إلى أن المعنى اللغوي لهذه المفردات بقي مستعملا في القرآن، الذي حدث هو أن المعنى بعد أن كان معممًا صار مخصصًا، قال: (إنَّ لفظ الصلاة في أصل اللغة هو الدعاء بلا شبهة، ولم ينتقل بعرف الشرع عن هذا المعنى، وإنما تخصص لأنه كان محمولاً قبل الشرع على كل دعاء في أي موضوع كان، وفي الشريعة تخصص بالدعاء في ركوع، وسجود، وقراءة)(٤). وقال أيضًا: (وجرى في أنه تخصص مجرى لفظ الصيام لأنه كان في اللغة عبارة عن الإمساك، وصار في الشرع عبارة عن الإمساك عن أشياء مخصوصة في أوقات مخصوصة. فأمّا الزكاة فهي النماء والزيادة في اللغة، وجعلها الشرع عبارة عن سبب ذلك من الصدقة المخصوصة)(٥).

وقال الدكتور مازن المبارك: (ونحن لو تجاوزنا الألفاظ الإسلامية وما يتصل بها لوجدنا أنَّ التطور الذي أصابته لم يخرج غالبا عن دلالتها الأولى وانما نقلها من محيط دلالتها الأولى من معنى عام الى معنى خاص)(٦).

وذهب فريق آخر ومنهم الدكتور كامل البصير إلى أنَّ المفردات التي انتقلت دلالاتها في الإسلام إلى دلالات جديدة قد ماتت ولم تستعمل، قال: (منح هذا كثيرًا من الكلمات العربية قبل الإسلام مدلولات قرآنية في ميدان الشريعة مثل الصلاة والصوم، والزكاة، والركوع، والسجود، والدين، والكفر وغير ذلك، فنسخت معانيها السابقة وماتت، وتحولت إلى معان جديدة تبقى لها

---

(١) الصاحبي ٤٤.

(٢) النص السلطة الحقيقية ٢١٥.

(٣) الزينة في الكلمات الإسلامية ١٥٣.

(٤) الذريعة في أصول الشريعة ٣٥٥/١ وما بعدها.

(٥) المصدر نفسه ٣٥٦/١.

(٦) نحو وعي لغوي ١٢١.

وشائجها التي ترتبط من خلالها بالدلالة الجديدة، يدعم ذلك قول علماء النفس واللغة بأن " الكلام ليس شبحا يطوف بلسان المتكلم ثم يختفي عنه بل هو جزء من ملكته العقلية"(١).

ولعل رأي الشريف المرتضى الذي يؤيد استمرار المعنى اللغوي في الاستعمال القرآني أقرب إلى الدرس اللغوي الحديث، فالألفاظ القديمة تكتسب دلالات جديدة مستحدثة إذا توافرت لها شروط خاصة، فهذه الألفاظ أصبحت مصطلحًا دعت الحاجة إليه(٢). وينبغي لنا أن ندرس طائفة من هذه المفردات لنتعرف على جذورها اللغوية ودلالاتها اللغوية والاصطلاحية الشرعية بشيء من التفصيل.

الصلاة:

الصلاة مشتقة من الجذر الثلاثي (ص ل ا) وهي في اللغة الدعاء(٣) بدليل قوله تعالى: (وصلِّ عليهم إنَّ صلاتَك سَكَنٌ لهم) (سورة التوبة: ١٠٣) أي: أُدع لهم.

وسميت الصلاة الشرعية صلاة لاشتمالها عليه.والصلاة من الله تعالى رحمة(٤) وهي ثناء من الله الله تعالى، قال جل ثناؤه: (أولئك عليهم صلواتٌ من ربِّهم ورحمة)(سورة البقرة: ١٥٧)، أي ثناء عليهم من الله تعالى. والصلاة من المخلوقين، الملائكة والإنس، والجن: القيام، والركوع، والسجود(٥)، وهي في الأصل اللزوم، قال الزجاج: (الأصل في الصلاة اللزوم،يقال قد صلى واصطلى إذا لزم)(٦) قال أهل اللغة إنها من الصَّلَوَيْن وهما مكتنفا الذَّنب من الناقة وغيرها(٧) .

والصلاة اسم يوضع موضع المصدر، تقول صلّيتُ صلاةً، ولا تقل تصلية(٨)، وقال بعض اللغويين إنَّ الصلاة مأخوذة من الجذر (صَلاً) بالهمزة، قال: (ومعنى صلَّى الرجل، أي أنه أزال عن نفسه بهذه العبادة الصلاء الذي هو نار الله الموقدة)(٩). ولا يستطيع الباحث أن يجزم بحقيقة المعنى الأصلي الذي منه انتقلت الصلاة إلى معناها الشرعي، أهو الصَّلَوان أم الصلة واللزوم والدعاء؟

وقد كانت لفظة الصلوين مستعملة في الشعر الجاهلي، فقد كانت عرب الجاهلية تسمى الفرس الأول السابق والثاني (المصلى) لأنه يتبع صلوى الفرس الذي يسبقه، قال بشامة بن حزن النهشلي:(١٠)

إنْ تبتدر غايةً يومًا بمكرمةٍ تلقَ السوابقَ منّا ولمَصَلّينا وعلى الرغم من هذا فإني أرى أنَّ الصلاة لم تؤخذ من هذا المعنى وهيأتها الإسلامية، ويبقى المُصلى والمصلون عندهم لفظين مستمدين من البيئة، ولا علاقة له بالصلاة، ولذلك لا أرى بأن الصلاة مأخوذة من اللزوم .

أمّا معناها الشرعي الإسلامي، فهي الصورة العبادية المعهودة التي علَّمها الرسول (صلى الله عليه وسلم) للمسلمين، وهي أقوال وأفعال يقصد بها تعظيم الله، مفتتحة بالتكبير، ومختتمة بالتسليم(١١) ، أو هي عبارة عن أركان مخصوصة وأذكار معلومة بشرائط محصورة في أوقات مقدرة...)(١٢). ومن الشواهد قوله تعالى: (واستعينوا بالصَبْرِ والصَّلاةِ، وإنَّها لكبيرةٌ إلاّ على الخاشعين)(سورة البقرة:٤٥)، وقوله عز وجل: (يا أيُّها الذينَ آمنوا إذا قُمْتُم إلى الصَّلاةِ

---

(١) المنهج القرآني وصياغة المصطلحات(مجلة المجمع العلمي العراقي) مج٣١، ص٤٤ وما بعدها، س ١٩٨٠.

(٢) ينظر: الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى ١١٨.

(٣) مختار الصحاح (ص ل ا): ٣٦٨.

(٤) المصدر نفسه (ص ل ا): ٣٦٨.

(٥) اللسان (صلا) ٢٧٦/٨.

(٦) المصدر نفسه ٢٧٦/٨.

(٧) المصدر نفسه ٢٧٦/٨.

(٨) المصدر نفسه ٢٧٦/٨.

(٩) ينظر: المفردات في غريب القرآن ٤٢١/١.

(١٠) ديوان الحماسة ٤٨/١.

(١١) ينظر: روح الصلاة في الإسلام:٢١.

(١٢) التعريفات ٧٦.

فاغْسِلوا وُجُوهَكُم وأيديَكم إلى المَرافِقِ، وامسَحوا برءوسِكم وأرجُلَكم إلى الكَعبين)(سورة المائدة:٦).

والمعنى اللغوي للصلاة مرتبط بالمعنى الشرعي، أو الاصطلاحي، فاللفظة بعد أن كانت معممة في عصر ما قبل نزول القرآن أصبحت في عصر نزول القرآن مخصصة، وبقي المعنى اللغوي مستعملاً في القرآن الكريم إلى جانب المعنى الشرعي، قال تعالى: (إنَّ اللهَ وملائِكَتَه يُصَلّون على النبي، يا أيُّها الذين آمنوا صَلُّوا عليهِ وسَلِّموا تَسْليما)(سورة التوبة:١٠٣). وقوله جلَّ علاه: (وصَلِّ عليهم إنَّ صلاتَكَ سَكَنٌ لهُم)(سورة الأحزاب:٥٦).

إنَّ الصلاة في حقيقتها دعاء وطلب، انتقل معناها من الدُّعاء والطلب بين إنسان وإنسان إلى الدعاء والطلب من الله عزَّ وجلَّ.

إنّ الصلاة بمعناها الشرعي مقترنة بالمعنى اللغوي لأنها متطورة عن هذا المعنى، حتى قيل أن الصلاة لا تكتمل الاّ بالدعاء، لأنَّ الدعاء عبادة، كما أن الصلاة بمعناها الشرعي عبادة...

ومن المفردات الأخرى الزكاة وهي مشتقة من الجذر الثلاثي (زك ا)(١)، أو (ز ك و)(٢)، وهي وهي تعني في اللغة النَّماء والزيادة، أنشد الخليل:(٣)

والمال يزكو بِكَ مُستَكبِرًا يختالُ قد أشرَفَ للناظِرِ

والزكاة تعني أيضًا: الصلاح، تقول: رَجُلٌ زكيٌ، أي تقي وصالح(٤)، وسميت الزكاة زكاةً لأنها لأنها تثمر المال وتنميه. وقد اكتسبت هذه المفردة في الإسلام معنى جديدًا لم يكن معروفاً عند العرب في عصر ما قبل الإسلام،فقالوا في معناها (حقٌ يجب على المال، وهو اسم لما يخرج من المال أو بدن على وجه مخصوص بعلم مما يأتي)(٥). وقال ابن فارس: (فالإسلام زاد فيها من الشروط والخصائص ما لم تعرفه العرب من قبل)(٦)، وقال: (وكذلك الزكاة، لم تكن العرب تعرفها الا من ناحية النماء، وزاد الشرع ما زاد فيها مما لا وجه لإطالة الباب بذكره)(٧).

وقال الجرجاني: (عبارة عن ايجاب طائفة من المال في مال مخصوص لمالك مخصوص)(٨).

وقد عدَّ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، المعنى الشرعي لهذه المفردة بالاعتبارين اللغويين، النماء والتطهير(٩) أمّا الأول فهو النماء في المال داعمًا ذلك بالحديث الشريف(وما نَقَص مال من صدقةٍ)(١٠)، ولأنها يضاعف ثوابها كما جاء: إنَّ المالَ يربّي الصدقة. وأما الثاني فلأنها طهرة للنفس من رذيلة البخل وتطهير من الذنوب(١١) وعليه فإن ابن حجر انفرد في هذا الإطلاق، برد المعنى الشرعي إلى المعنى اللغوي وهو النماء والتطهير(١٢). فالعلماء تكلموا على المعنى الشرعي كلاماً آخر بعيداً عن المعنى اللغوي. ولكن قول ابن حجر لا يعني أن المفردة لم يصبها التغيير، فقد طرأ عليها تطور دلالي فتوسع مدلولها، فالطهر بمعانيه يدل على ذلك. وقد كان ابن حجر بارعاً في تعليل ذلك بما احتج به من أحاديث شريفة تثبت صحة ما ذهب اليه.وقول ابن حجر يبطل من ذهب إلى أنَّ الألفاظ الإسلامية بمدلولاتها القرآنية نسخت معانيها في عصر ما قبل الإسلام وهي المعاني اللغوية وحلت محلها معانٍ جديدة(١٣). ومن المعنى

---

(١) ينظر: مختار الصحاح (ز ك ا) ٢٧٣.

(٢) ينظر: العين (ز ك و) ٣٩٤/٥.

(٣) ينظر: المصدر نفسه (ز ك و) ٣٩٤/٥، والبيت بلا عزو.

(٤) ينظر: المصدر نفسه (ز ك و) ٣٩٤/٥.

(٥) نهاية المحتاج ٤٢/٣.

(٦) الصاحبي ٨٦.

(٧) المصدر نفسه ٨٦.

(٨) التعريفات ٦٧.

(٩) ينظر فتح الباري ١٦٨/٣.

(١٠) المغني لابن قدامة ٢/ ٤٣٣ وينظر المسند لاحمد بن حنبل ٢٠٠١/٤

(١١) ينظر: نهاية المحتاج ٤٢/٣.

(١٢) ينظر: فتح الباري ١٦٨/٣.

(١٣) ينظر المنهج القرآني وصياغة المصطلحات(مجلة المجمع العلمي مج ٣١ ع١ ص)٤٥.

القرآني قوله تعالى: (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، واركعوا مع الراكعين) (سورة البقرة:٤٣). وقوله: (لئن أقَمتُم الصّلاة وآتيتُم الزّكاة وآمنتُم برسُلي وعَزَّرتُموهم وأقرضتُم اللهَ قَرْضَاً حَسَناً لأكَفِّرَنَّ عنكُم سيّئاتِكم)(سورة المائدة:١٢). وقال عزَّ وجلَّ: (فَسَأكْتُبُها للذينَ يتَّقون ويُؤتون الزَّكاةَ والّذين هم بِآياتِنا يؤمنون)(سورة الأعراف:١٥٦).

ومن المفردات القرآنية الصوم أو الصِّيام قال تعالى: (يا أيُّها الذينَ آمنوا كُتِبَ عليكُم الصِّيامُ كَما كُتِب على الذينَ مِن قَبلِكُم لَعَلَّكُم تَتقون)(سورة البقرة: ١٨٣).

الصوم والصِّيام لغتان فصيحتان قرئ بهما في القرآن الكريم. والصوم مشتق من الجذر الثلاثي (ص و م)، ومعناها اللغوي مطلق الإمساك⁽¹⁾ كالكلام، والسير، ولذلك قيل للفرس الممسك عن السير أو العلف صائم، وأنشدوا في هذا المعنى للنابغة الذبياني⁽²⁾

خيلٌ صِيامٌ وخيل غيرُ صائمةٍ تحتَ العجاجِ، وخيلٌ تعلُكُ اللّجُما

ومنه قوله تعالى: (فقولي إنِّي نذرتُ للرحمن صومًا) (سورة مرسم:٢٦). وفي عصر نزول القران أطلقت هذه المفردة على معنى آخر لم يكن معروفاً في الجاهلية، وهو (الكف عن أمر الله بالكفِّ عنه)⁽³⁾، أو هو كما عرفه الجرجاني: (عبارة عن إمساك مخصوص وهو الإمساك عن الأكل والشرب، والجماع من الصبح إلى المغرب مع النيّة)⁽٤⁾ والجامع بين المعنيين اللغوي،والاصطلاحي الشرعي هو " الإمساك" إلا أنَّ الإمساك في المعنى اللغوي هو إمساك مطلق، وهو مقيد أو مخصوص في المعنى الشرعي أو القرآني، جاء في المجموع بأنه: (إمساك مخصوص عن شيء مخصوص في زمن مخصوص، من شخص مخصوص)⁽٥⁾.

وهذا يعني أن المفردة تخصصت بعد أن كانت معممة في عصر ما قبل الإسلام. ومن شواهده في القرآن الكريم قوله تعالى: (أُحلَ لكم ليلةُ الصِّيام الرَّفَثُ إلى نِسائِكم) (سورة البقرة: ١٨٧). وقوله: (أو عدلُ ذلكَ صِياماً ليذوقَ وبالَ أمرِهِ) (سورة المائدة:٩٥). وقوله تعالى: (فمن لم يجد فصيامُ شهرينِ متتابعين) (سورة المجادلة:٤)

ومن المفردات الإسلامية الحجُّ كقوله تعالى: (وأتمّوا الحَجَّ والعُمرةَ للهِ) (سورة البقرة: ١٩٦). والحَجُّ، والحِجُّ ـ بفتح الحاء وكسرها لغتان، وقرئ بهما في السبع⁽٦⁾ وقال ابن حجر: (إنَّ الكسر الكسر لغة أهل نجد، والفتح لغيرهم)⁽٧⁾، ونقل عن حسين الجعفي (أنَّ الفتح الاسم، والكسر المصدر، وعن غيره العكس)⁽٨⁾. والحَجُّ مشتق من الجذر الثلاثي (ح ج ج)، ومعناها في اللغة القصد إلى كل شيء⁽٩⁾، قال الخليل: (الحج كثرة القصد إلى مَن يعظم ،قال:

كانت تحُج بنو سعد عِمامتَه إذا أهَلُّوا على أنصابهم رجباً

(حجّوا عمامته، أي عظموه)⁽¹⁰⁾. والحج في الاصطلاح الشرعي هو قصد الكعبة لعبادة تشتمل على الوقوف بعرفة⁽¹¹⁾، اذ زادت الشريعة ما زادته من شرائط الحج وشعائره⁽¹²⁾، أو هو قصد بيت الله تعالى بصفة مخصوصة في وقت مخصوص، بشرائط مخصوصة)⁽¹³⁾.

---

(1) ينظر: غريب الحديث (ابن قتيبة) ٢١٧/١، والتعريفات ٧٧.
(2) ينظر: المصدر نفسه ٣٥٧/١، وجامع البيان ١٢٨/٢، وينظر: الديوان ٢١٧.
(3) جامع البيان ١٢٨/٢.
(4) التعريفات ٧٧.
(5) المجموع شرح المهذب ٢٧١/٦.
(6) ينظر: المجموع ٣/٧.
(7) فتح الباري ٢٤٣/٣، وينظر: العين (حج) ٩/٣.
(8) فتح الباري ٢٤٣/٣.
(9) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٣٤٠/١.
(10) العين (حج) ٩/٣-١٠.
(11) ينظر: الصاحبي ٨٦.
(12) ينظر: المصدر نفسه ٨٦.
(13) التعريفات ٥٠.

إنَّ العرب في عصر ما قبل الإسلام لم يعرفوا الحج بهذا المعنى، وإنما كانوا يعرفون من الحج القصد كما بيّنت ذلك سلفًا. قال ابن فارس: (... وكذلك الحج لم يكن عندهم فيه غير القصد وسبر الجراح، من ذلك قولهم:

وأشهَدُ من عَوفٍ حَلولاً كثيرةً   يَحُجّون سَبَّ الزبرقان المزعفرا

ثم زادت الشريعة ما زادته من شرائط الحج وشعائره...)[١]. قوله: يحجون سب الزبرقان، أي يقصدون سبّه.

ومن شواهد مجيء الحج في الدلالة على المعنى الشرعي الإسلامي قوله تعالى: (وَأذِّنْ في الحَجِّ يأتوكَ رِجالاً وعلى كُلِّ ضامرٍ يأتينَ من كُلِّ فَجٍّ عَميقٍ)(سورة الحج:٢٧)، وقوله: (وللهِ على النّاسِ حِجُّ البيتِ من استَطاعَ إليهِ سبيلاً) (سورة آل عمران: ٩٧).

فالمفردة كغيرها من المفردات أصابها تطور دلالي عبر الزمن، فبعد أن كانت دلالتها عامة، صارت خاصة.

ويبدو لنا من خلال بحثنا أن المفردة لم تكن مستعملة بمعناها اللغوي في القرآن الكريم، وإنما استعملت بمعناها الشرعي في أكثر من موضع.

ومن المفردات القرآنية الفسِق ومشتقاتها كما في قوله تعالى: (إنْ جاءَكُم فاسِقٌ بنَبأ فَتَبَيَّنوا..) (سورة الحجرات: ٦).

المفردة (الفاسِق) مشتقة من الجذر الثلاثي (ف س ق)، وأصل الفُسوق في اللغة الخروج، يقال: فَسَقت الرُّطبة: خرجت من قشرها[٢]، ثم أطلقت في الإسلام لتدل على معنى الإفحاش في الخروج عن طاعة الله جلَّ ثناؤه، قال ابن فارس: (لم يعرفوا في الفسق الا قولهم فَسَقت الرطبة إذا خرجت عن قشرها، وجاء في الشرع بأنَّ الفسق الإفحاش في الخروج عن طاعة الله جل ثناؤه)[٣]. وقال ابن الأعرابي: (لم يسمع قط في كلام الجاهلية ولا في شعرهم فاسق)[٤]. وسمي وسمي الرجل فاسقاً لخروجه عن طاعة الله منه خروج مخصوص[٥]. ووصفت الدواب بالفسق (لخروجها من حكم غيرها من الحيوان في تحريم قتله، أو في حل أكله استناداً إلى قوله تعالى"أو فسقًا أُهِلَّ بهِ لغَيرِ اللهِ")[٦].

ومن الشواهد القرآنية على المعنى الشرعي قوله تعالى: (فَفَسَقَ عن أمرِ رَبِّهِ) (سورة الكهف: ٥٠)، أي خرج عن أمر ربّه، وهو إبليس. وقوله عزَّ وجلّ: (وأن تستَقْسِموا بالأزلام ذلك فِسقٌ) (سورة المائدة:٣)، أي ذلك خروج عن طاعة الله، وقوله جل ثناؤه: (ولا تأكُلوا مما لم يُذكر اسمُ الله عليه وإنّهُ لفسق) (سورة الأنعام:١٢١). ظهر لنا أن المعنى اللغوي لـ (فسق) لم يستعمل في القرآن الكريم، بل استعمل المعنى الشرعي، كما ظهر لنا أن المعنَيين اللغوي، والشرعي اشتركا في لفظ الخروج، إلا أن في المعنى اللغوي خروجاً مطلقاً، وفي المعنى القرآني أو الشرعي خروج مخصوص، بمعنى أن المفردة تخصصت دلالتها بالخروج عن طاعة الله تعالى.

ومنها المفردة الكفر ومشتقاتها كما في قوله تعالى: (ولا تكونوا أوّلَ كافِرٍ بِهِ) (سورة البقرة: ٤١).

المفردة كافر مشتقة من الجذر (ك ف ر)، وأصل الكفر في اللغة التغطية، يقال لليل كافِر لأنه ألبس كُلَّ شيء[٧] أي غطاه. والكافر من الأرض ما بَعُد عن الناس لا يكاد ينزله أحد، ولا يمر به أحد. والكافر: الزارع، سمي بذالك لأنه يغطي البذور في التراب[٨]، والكُفّار: الزراع، ومنه

---

[١] الصاحبي:٨٦.

[٢] ينظر: مختار الصحاح (ف س ق) ٥٠٣، والتاج(ف س ق) ٣٠٣/٢٦.

[٣] الصاحبي ٨٤.

[٤] المزهر ٣٠١/١.

[٥] فتح الباري (ابن حجر) ٢٦/٤.

[٦] المصدر نفسه ٢٦/٤.

[٧] العين (كفر) ٣٥٧/٥.

[٨] المصدر نفسه (كفر) ٣٥٧/٥.

قوله تعالى: (كَمَثَلِ غَيْثٍ أعجَبَ الكُفّار نَباتُه) (سورة الحديد:٢٠).هذه هي المعاني اللغوية للمفردة، أمّا معناها في الاصطلاح الشرعي فهي (ستر نعمة المنعم بالجحود،أو يعمل هو كالجحود في مخالفة المنعم)⁽¹⁾. ومن الشواهد القرآنية على المعنى الشرعي قوله تعالى: (واللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفّارٍ أثيم)(سورة البقرة: ١٧٦). وكفّار صيغة مبالغة لـ(كافر) أي كثير الكفر. وقوله سبحانه: (قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئةٌ تُقاتِل في سبيل الله وأخرى كافِرة) (سورة آل عِمران: ١٣)، وقوله تعالى: (يا أيُّها النَبيُّ جاهِدِ الكُفّارَ)(سورة التوبة: ٧٣). ومن شواهد المعنى اللغوي جاء قوله تعالى: (ربّنا فاغفرْ لنا ذُنوبَنا وكَفّرْ عنا سيئاتِنا)(سورة آل عمران: ١٩٣) وهذا يعني أن المفردة ومشتقاتها كلها يجمعها معنى واحد وهو الستر والتغطية.

من هذا يظهر أن المعنيين اللغوي والشرعي كليهما استعمل في القرآن الكريم.

ومنها التَّيَمُّمُ في قوله تعالى: (وإن كُنتم مَرضى أو على سَفَرٍ أو جاءَ أحَدٌ منكم مِن الغائِطِ أو لامَسْتُم النِّساءَ فلم تَجِدوا ماءً فَتَيَمَّمُوا صَعيداً طيباً، فامسَحوا بِوجوهِكم وأيديَكم منه) (سورة المائدة:٦).

التَّيمُّمُ مشتق من الجذر الثلاثي (ي م م)، وأصله في اللغة القصد يقال أمّمْت الشيء أؤمُّهُ أمَّاً، وتأمَّمْتُهُ، ومعناه كله تعمّدته وقصدت له⁽²⁾. قال ابن فارس: (الياء والميم كلمة تدل على قصد الشيء وتعمّده)⁽³⁾. وقد ورد هذا المعنى اللغوي في القرآن الكريم كقوله تعالى: (ولا تَيَمَّموا الخبيثَ منه تُنفِقون..)(سورة البقرة: ٢٦٧) أي ولا تقصدوا ولا تعمدوا. والتَيَمُّمُ في الشرع (قصد الصعيد الطاهر واستعماله بصفة مخصوصة لإزالة الحدث)⁽⁴⁾. وقد خصصه تعالى في سورتي النساء والمائدة بمسح الوجه، واليدين، قال جلّ ثناؤه: (... فتَيَمَّموا صَعيداً طَّيباً، فامسحوا بوجوهِكُم وأيديَكُم مِنه) (سورة المائدة:٦) حتى صار التيمم مصطلحاً إسلاميا جديداً بعد أن خصصه القرآن الكريم بـ(الوضوء على البدن) وبذلك صار التيمم يحمل معنى جديداً، وهذا المعنى يُعد تطوراً في الدلالة بين استعمال الشعر الجاهلي للمفردة ، وبين الاستعمال القرآني.

نتائج البحث

توصل الباحث إلى عدّة نتائج من أبرزها ما يأتي:

- المفردة القرآنية بما تميزت به من ميزات كجمال وقعها في السمع، واتساقها الشامل مع المعنى، واتساع دلالاتها ـ كل ذلك جعلها مفردة لا تضاهيها آية مفردة نطق بها البشر. ونجد بعض هذه الميزات في كلام الفصحاء كالشافعي، والجاحظ، والمتنبي، أمّا أن تجتمع جميعاً فهذا لا يكون إلا في القرآن الكريم.
- المفردة القرآنية ذات جرس شديد وقوي وذلك لترتيب أصواتها الدقيق من حيث الصفة والمخرج، والتشديد والإدغام، والتقديم والتأخير فتولد عن ذلك معنى جديد يختلف عما لو كانت المفردة بترتيبها الأصلي مثال ذلك المفردة (اثّاقلتُم) وأصلها (تثاقلتُم) فأدغمت التاء في الثاء لتداني مخرجيهما وجيء بالهمزة للتوصل إلى النطق بالساكن. وعليه فأن النطق بـ (اثاقلتم) فيه جهد وبطء توحي صورتها بذلك الجسم المتثاقل ـ يرفعه الرافعون في جهد فيسقط في أيديهم، وعليه فصورة أداء هذه المفردة توحي بالمعنى قبل أن يرد عليك المعنى من جهة المعاجم⁽⁵⁾.
- لمعرفة معنى المفردة القرآنية ينبغي معرفة جذرها اللغوي ودلالتها في لغة العرب، بالرجوع إلى المعجمات اللغوية، وهذا ما فعلناه في هذا البحث.

⁽¹⁾ التعريفات ١٠٤.

⁽²⁾ ينظر: الصحاح (ي م م) ٢٠٦٤/٥، والنهاية في غريب الحديث والأثر ٣٠٠/٥، والكليات ١١٧.

⁽³⁾ مقاييس اللغة (ي م م) ١٥٢/٦.

⁽⁴⁾ التعريفات:٤٤.

⁽⁵⁾ ينظر: التعبير الفني في القرآن ١٧٩.

- إنَّ الكثير من مفردات اللغة أصابها تطور دلالي عبر مرورها بالزمن، وهذا هو شأن مفردات القرآن الكريم، إذ انتقلت دلالات المفردات العربية من معناها اللغوي أو الوضعي إلى دلالات إسلامية جديدة وهي دلالات شرعية كالصلاة، والزكاة، والحج، فإنها كانت تدل على الدعاء، والنماء والزيادة، والإمساك، فأصبحت تدل على عبادات مخصوصة.
- وقد اختلف العلماء والباحثون في حقيقة تلك المفردات، هل ماتت أو انقرضت بعد أن نقلت دلالاتها إلى دلالات إسلامية جديدة؟ أو استمر استعمالها في القرآن الكريم؟ فقد ذهب الشريف المرتضى ـ وهو من الأصوليين ـ إلى أنَّ تلك المفردات لم تمت أو تنقرض وإنما استمر استعمالها في القرآن الكريم مع دلالاتها الإسلامية الجديدة الا أنها خصصت بعد أن كانت معممة. وتابعه عدد كبير من العلماء والباحثين كابن حجرالعسقلاني والدكتور مازن مبارك، وذهب فريق من الباحثين منهم الدكتور كامل البصير إلى أن تلك المفردات ماتت وانقرضت بعد أن نقلت دلالاتها إلى دلالات إسلامية جديدة.

  وأثبت البحث اللغوي الحديث أنَّ المفردات اللغوية لم تمت وإنما استمر معناها اللغوي في القرآن الكريم مع معناها الإسلامي الجديد بعد أن خصصت دلالاتها بدلالات إسلامية جديدة.

  والواقع أن عدداً من المفردات اللغوية استمر استعمالها في القرآن الكريم بمعناها اللغوي الوضعي فضلاً عن استعمالها الشرعي الإسلامي الجديد، في الوقت الذي وجدنا فيه أنَّ عدداً من المفردات الجاهلية لم يستمر استعمالها اللغوي في القرآن الكريم وإنما وجدنا معناها الشرعي كمفردة الحج، مما جعل بعض الباحثين يذهبون إلى أنَّ المفردات الجاهلية ماتت وتحولت إلى دلالات إسلامية جديدة.

مصادر البحث ومراجعه

المصدر الأول: القرآن الكريم.

١. الأصوات اللغوية: الدكتور إبراهيم أنيس، نشر مكتبة الأنجلو المصرية/ مطبعة محمد عبد الكريم حسان، ١٩٨٤.
٢. تاج العروس من جواهر القاموس: الزبيدي (محمد مرتضى الحسيني ١٢٠٥هـ) ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج وآخرين، مطبعة حكومة الكويت ١٣٨٥هـ ـ١٩٧٥م.
٣. التحديد في الإتقان والتجويد: أبو عمرو الداني (عثمان بن سعيد ت ٤٤٤هـ) دراسة وتحقيق الدكتور غانم قدوري حمد ط١، مطبعة الخلود، بغداد ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٨م.
٤. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: (لابن أبي الإصبع المصري ت ٦٥٤هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف ـ مطابع شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة ١٣٨٣هـ ١٩٦٣م.
٥. التحرير والتنوير: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)الدار التونسية للنشر ١٩٨٤.
٦. التصوير المجازي ـ أنماطه ودلالاته، الدكتور أياد عبد الودود عثمان المشهداني ـ سلسلة رسائل جامعية ـ ط١دار الشؤون الثقافية العامة، ، بغداد ٢٠٠٤م.
٧. التعبير الفني في القرآن: الدكتور بكري شيخ أمين ـ دار الشروق، ط١، بيروت ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.
٨. التعريفات: أبو الحسن الجرجاني: (علي بن محمد ت ٨١٦هـ)، تقديم الدكتور أحمد مطلوب، بغداد ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٩. تفسير ابن عربي: (محمد بن محيي الدين الصوفي الطائي ت ٦٣٨هـ)، ترجمة وتحقيق عبد الوارث محمد علي ـ دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠١م.

١٠. تفسير ابن عرفة المالكي: (عبد الله بن عرفة ت ٨٠٣ هـ)، مكتبة المشكاة الإسلامية نقلا عن الموقع الإلكتروني http:www.alimeshkat.net.

١١. تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (أبو الفداء عماد الدين اسماعيل ت٧٧٤هـ)،حقق أصوله طه عبد الرؤوف سعيد، وخرّج أحاديثه عبد الله المنشاوي، ط١، نشر مكتبة الإيمان ـ المنصورة، مصر ٢٠٠٦م.

١٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبري(محمد بن جرير ت ٣١٠هـ)، ط٢،مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٥٤م.

١٣. الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى: الدكتور حامد كاظم عباس ،ط١ دار الشؤون الثقافية العامة ـ سلسلة رسائل جامعية بغداد ، ٢٠٠٤م.

١٤. ديوان الأعشى: (ميمون بن قيس ت ٧هـ)، تحقيق وتعليق محمد حسن، المكتب الشرقي للنشر والتوزيع ـ بيروت ١٩٦٨م.

١٥. ديوان الحماسة: أبو تمام الطائي(حبيب بن أوس)، مختصر شرح التبريزي، مكتبة فريد علي صبيح، القاهرة، ١٩٥٥م

١٦. ، ديوان النابغة الذبياني، تحقيق فوزي عطوي بيروت ١٩٦٩م

١٧. الذريعة في أصول الشريعة: الشريف المرتضى (أبو القاسم علي بن الحسين ت ٤٣٦هـ)،تحقيق الدكتور أبو القاسم كرجي،مطبعة عقد ـ دانشكاه، طهران ١٣٤٨هـ.

١٨. روح البيان: الشيخ إسماعيل حقي البرسوي ـ استانبول، ١٩٢٦م.

١٩. روح الصلاة في الإسلام: عفيف عبد الفتاح طبارة، ط١، دار العلم للملايين، ، بيروت، ١٩٦٨م.

٢٠. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الآلوسي (أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي، ت١٢٧٠هـ)، دار الفكر، بيروت ١٣٩٨هـ ـ١٩٧٨م.

٢١. الزينة في الكلمات الإسلامية: الشيخ أبو حاتم الرازي (أحمد بن حمدان ت ٣٢٢هـ) تحقيق حسين بن فيض الله الهمداني، ط١ ـ مركز الدراسات والبحوث اليمني ١٩٦٤م.

٢٢. سر صناعة الإعراب: ابن جني (أبو الفتح عثمان ت٣٩٢هـ)، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، ط،ج١، مطبعة البابي الحلبي، مصر ١٩٥٤م.

٢٣. الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: (أحمد بن فارس ت ٣٩٥هـ)، تحقيق السيد أحمد صقر، ط٢مطبعة عيسى البابي ، القاهرة ١٩٧٧م.

٢٤. الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): الجوهري (إسماعيل بن حماد ت ٣٩٨هـ)،تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين ـ بيروت، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٧٨م.

٢٥. صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ)،تعليق وتصحيح محمد فؤاد عبد الباقي،ط١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م.

٢٦. العين: الفراهيدي (الخليل بن أحمد ت ١٧٥هـ)، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للطباعة، بغداد، ١٤٠٠ـ١٤٠٥هـ، ١٩٨٠ـ١٩٨٥م.

٢٧. غريب الحديث لابن قتيبة: (عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦هـ)، تحقيق الدكتور عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٧م.

٢٨.فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي ت٨٥٢هـ)، المطبعة الخيرية ـ القاهرة ١٣١٩ـ١٣٢٩هـ = ١٩٠١ـ١٩١١م.

٢٩. في ظلال القرآن: سيد قطب، ط٦، دار الشروق، بيروت، ١٣٩٨هـ ـ١٩٧٨م.

٣٠. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري (محمود بن عمر ت ٥٣٨هـ)، دار الفكر، بيروت (د.ت).

٣١. الكليات: أبو البقاء الكفوي، اللغوي (أيوب بن موسى الحسيني ت ١٠٩٤هـ)، تحقيق الدكتور عدنان درويش، ومحمد المصري، دار الكتب الثقافية، دمشق، ١٩٧٥.

٣٢. لسان العرب: ابن منظور(محمد بن مكرم ت ٧١١هـ)، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ٢٠٠٠م.

٣٣. مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد٣١، العدد١ لسنة ١٩٨٠.

٣٤. المجموع، شرح المهذب: النووي (محيي الدين بن شرف ت ٦٧٦هـ)، مطبعة الإمام، مصر (د.ت).

٣٥.مختار الصحاح: الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ت ٦٠٦هـ) دار الرسالة،الكويت ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م

٣٦. مختصر في شواذ القراءات: ابن خالويه (الحسين بن أحمد ت ٣٧٠هـ)، عني بنشره:ج. برجستراسير ، دار الهجرة، (د.ت).

٣٧. المزهر في علوم اللغة وأنواعها:جلال الدين السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ)، تصحيح محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، ط٤، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي، مصر ١٣٧٨هـ -١٩٥٨م.

٣٨. المسند: (أحمد بن حنبل ت ٢٤١هـ)، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دار صادر للطباعة والنشر - بيروت (د.ت).

٣٩. مشاهد القيامة في القرآن: سيد قطب، دار الكتاب الإسلامي قم - ايران (د.ت).

٤٠. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مؤسسة النبهان، بيروت (د.ت).

٤١. المغني والشرح الكبير للإمامين موفق الدين أبي محمد عبد الله بن احمد(ت٦٢٠هـ)،وشمس الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أبي عمر بن قدامة المقدسي (ت ٦٨٢هـ)،دار الكتاب العربي، بيروت (د.ت).

٤٢. المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني (الحسين بن احمد ت في حدود٤٥٢هـ)،المطبعة الميمثية، القاهرة ١٣٢٤هـ.

٤٣. مقاييس اللغة: (أحمد بن فارس ت ٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر،بيروت ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٤٤. نحو وعي لغوي ، الدكتور زكي مبارك ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٧٩م

٤٥.النص السلطة الحقيقية، الفكر الديني بين إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة الدكتور نصر حامد أبو زيد ط٢ - المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء ١٩٩٧م

٤٦. النهاية في غريب الحديث والأثر –ابن الجزري- محمد بن محمد ت ٨٣٣هـ تحقيق طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي – المكتبة العلمية – بيروت ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م

٤٧. نهاية المحتاج إلى شرح المهذب – شمس الدين محمد ين أبي العباس الرملي ت ١٠٠٤م- مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٥٧هـ ١٩٣٨م

Single Quranic Between the root of language and meaning of Quranic

Assistant Professor Dr. Hussien Muheisen Khatlan AL-BakrI
College Of Education for Women - Baghdad University

ABSTRACT:

Single of the Koranic special bell in the vocal and influential, it does not find the signs in other words, since the three met with the President of features, beauty and signed by hearing, and consistency in meaning, and implications for the consistency it usually does not allow signs other words, these features do not meet In the words of people together, but in the Holy Quran, and we find some of them in the Word of Rhetoricians and eloquent Kalimam Shaafa'i and big eye, and Mutanabi.

The single language or Semantically situation evolved over time, as we find in the Koran that the meanings of words have acquired a new Muslim were not known before the revelation of the Qur'aan, Kasalap, Zakat and fasting, pilgrimage and it was mean: prayer, the development and increase, constipation, and intended to become show the usual pillars of worship and conditions.